

الباب الحادي والأربعين: في ذكر أسماء الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن

الطبقة الأولى الذين أدركوا الجاهلية والإسلام: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، عم رسول الله ﷺ أسد الله، وأسد رسوله ﷺ قتل في غزاة أحد، رماه وحشي مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله. وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع. وعظم قتله على النبي ﷺ ونذر أن يقتل به سبعين رجلاً من قريش، وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله ﷺ، ومؤيد بالتأييد الإلهي، كاشف الكروب ومجليها^(١)، ومثبت قواعد الإسلام ومرسيها، وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية^(٢)، ولا خلاف. روي عنه رضي الله عنه أنه قال: والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من موة على فراش. وقال بعض العرب: ما لقينا كتيبة فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أوصى بعضنا على بعض. وقال رضي الله عنه لمعاوية: قد دعوت الناس إلى الحرب فدع الناس جانباً وأخرج إليّ ليعلم أننا المران^(٣) على قلبه، والمغطى على بصره، وأنا أبو الحسن قاتل جدك، وخالك وأخيك شدخاً^(٤) يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي. وقيل له كرم الله وجهه. إذا جالت الخيل، فأين نطلبك؟ قال: حيث تركتموني. وقيل له: كيف كنت تقتل الأبطال؟ قال: لأنني كنت ألقى الرجل فأقدر أني أقتله، ويقدر هو أني قتلته، فأكون أنا ونفسي عوناً عليه. وقال مصعب بن الزبير: كان علي رضي الله عنه حذراً في الحروب، شديد الروغان، لا يكاد أحد يتمكن منه، وكان درعه صدرأ لا ظهر لها. فقليل له: أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك؟ فقال: إذا مكنت عدوي من ظهري^(٥) فلا أبقى الله عليه إن أبقى عليّ. قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنة الله تعالى عليه، غدره وهو في صلاة الصبح. وسبب ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم لعنة الله تعالى عليه مكررة تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له: لا أقنع إلا بصدّاق أسميّه، وهو ثلاثة آلاف درهم، وعبد وأمة، وأن تقتل علي بن أبي طالب. فقال لها: لك ما سألت، إلا علي بن أبي طالب وكيف لي به؟ قالت: تقاتله فإن سلمت أرحمت الناس من شره وأقمت مع أهلك وإن أصبت دخلت الجنة فقال:

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المخدّم^(٦)

- (١) مجليها: مظهرها.
- (٢) مرية: جدال أو نقاش.
- (٣) المران: المغطى.
- (٤) شدخاً: كسراً بعنف.
- (٥) ظهري: كناية عن الحرب.
- (٦) المخدّم: القاطع.

فلا مهرَ أغلى من عليٍّ وإن علا ولا فيك إلا دون فتكِ ابن ملجم

وقيل: إنه طعنه وهو داخل المسجد في الغلس^(١) وذلك في التاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين. كفن رضي الله عنه في ثلاثة أثواب ودفن في الرحبة، مما يلي كندة من أبواب المسجد. قالوا: ولما ضربه ابن ملجم، لعنه الله، ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم فاحتضنوه، وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد مطلب فأخذه فأوماً علي رضي الله عنه إلى المغيرة أن صل بالناس. فصلى بهم الفجر. وأقبلت همدان فدخلوا على ليّ فقالوا: يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة إن شاء الله تعالى. فقال: لا تفعلوا إنما النفس بالنفس. قال: ثم إن حسن رضي الله عنه صلى الفجر، وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال: الحمد لله على ما أحببنا بكرهنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وإني أحسب عند الله عز وجل مصابي بأفضل الآباء رسول الله القاتل ﷺ: «مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَسَلَّ بِمُصِيبَتِهِ فِي فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ». والله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل على عبده الفرقان، لقد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون بعد رسول الله ﷺ. لا يدرى الآخرون. فعند الله نحسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد ﷺ. فوالله لا أقول اليوم إلا حقاً لقد خلت مصيبة اليوم على جميع العباد والبلاد، والشجر والدواب. ولقد قبض في الليل التي رفع فيها عيسى ابن مريم لميها السلام إلى السماء، وقبض فيها موسى بن عمران، ويوشع بن نون عليهما السلام. وأنزل فيها القرآن على محمد ﷺ. ولقد كان رسول الله ﷺ يبعثه في السرية، ويسير جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى تح الله عز وجل على يديه. وما ترك صفراء، ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم أراد أن يتاع بها خادماً لأهله، ألا إن أمور نه تعالى تجري على أحوالها، فما أحسنها من الله، وأسوأها من أنفسكم، ألا إن قريشاً أعطت أزمته شياطينها، نادتها بأعنتها إلى النار. فمنهم مَنْ قاتل رسول الله ﷺ حتى أظهره الله تعالى عليهم. ومنهم مَنْ أَسْرَ الضغينة حتى جد على النفاق أعواناً رفع الكتاب وجف القلم. وأمور تقضي في كتاب قد خلا. ثم أشرق الحسن. فبكى الناس كاءً شديداً ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابين ملجم فأقبل يخطر واضعاً شعره على أذنيه، حتى قام بين يديه. فقال: يا سنن إني ما عاهدت الله تعالى على عهد قط إلا وفيت به؛ عاهدت الله تعالى على أن أقتل أباك وقد قتلت. فإن تخلني تل معاوية. فإن أنا قتلت أضع يدي على يدك. وأن أقتل فهو الذي تريد. فقال الحسن رضي الله عنه: أما والله لا ببيل إلى بقائك، ثم قال إليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده، ثم أسرع السيف فيه فقتله.

ومن الأبطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخدومي رضي الله عنه، سيف الله، وسيف رسوله ﷺ بطل مذكور، فارس مشهور، في الجاهلية والإسلام. قتل مالك بن نويرة، وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله. وكان الفتح لخالد يوم يمامة، وهو الذي فتح دمشق وأكثر بلاد الشام، وله وقائع عظيمة في الروم أيد الله بها الإسلام، مات على فراشه. كان يقول: لقد شهدت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي موضع شبر، إلا وفيه أثر من طعنة، أو ضربة، أو رمية، وها أموت على فراشي، لا نامت عين الجبان، وكان ينشد ويرتجز ويقول رضي الله عنه:

لا ترعبونا بالسيفِ المبرِّقه إن السهامَ بالردي مفوّقه^(٢)

(١) الغلس: ظلمة آخر الليل.

(٢) مفوّقه: أكثر علوّاً في هذا المجال.

والحرب دونها العقل مطلقه وخالد من دينه على ثقته

الزبير بن العوام رضي الله عنه حوارى رسول الله ﷺ، وابن عمته، بطل شجاع لا يمارى، وشهم لا يجارى، قتله عمرو بن جرموز، اغتاله وهو في الصلاة. عمرو بن معدى كرب الزبيدي، فارس من فرسان الجاهلية، وله مواقف مذكورة، ومواطن مشهورة، وأسلم ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام وشهد حروب الفرس، وكان له فيها أفعال عظيمة، وأحوال جسيمة. وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رآه قال الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرًا. روي عنه رضي الله عنه أنه سأل يوماً فقال له: يا عمرو أي السلاح أفضل في الحرب؟ قال: فعن أيها تسأل. قال: ما تقول في السهام؟ قال: منها ما يخطيء ويصيب. قال: فما تقول في الرمح؟ قال: أخوك ربما خانك، قال: فما تقول في الترس؟ قال: هو الدائرة، وعليه تدور الدوائر. قال: فما تقول في السيف؟ قال: ذلك العدة عن الشدة. وقيل: أنه نزل يوم القادسية على النهر فقال لأصحابه: أني عابر على هذا الجسر، فإن أسرعتم مقدار جزر الجزور، وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي، وقد عرفني القوم، وأنا قائم بينهم، وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم، ثم انغمس فحمل على القوم. فقال بعضهم لبعض: يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم، والله ما نظن إنكم تدركونه حي فحملوا فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه. وقد أخذ برجل فرس رجلاً من العجم، فأمسكها الفارس يضرب فرسه، فلم تقدر أن تتحرك، فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه، وخلقى فرسه فركبه عمرو. وقال: أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوني، فقالوا: أين فرسك؟ فقال: رمي بنشابة فغار، وشب فصرعني^(١). ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم، وهو الذي كان قدّمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين، فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل، فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم، وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار. فقتل رستم وانهمزت العجم. وقتل عمرو بنهاوند في وقعة الفرس بعد أن عمّر حتى ضعف، وكان من الشعراء المعدودين. وفيه يقول العباس بن مرداس:

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطني زبيداً فقد أودى بنجدها عمرو^(٢)

ومنه طلحة الأسدي رضي الله عنه، كان من أكبر الشجعان جاهلية وإسلاماً، ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعاً عظيماً فقل^(٣) خالد بن الوليد جمعه. وكان يتكهن، ثم عاد إلى الإسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح. المقداد بن الأسود رضي الله عنه، كان من أشجع الفرسان، شديد البأس، قوي الجنان، رابط الجأش، وله في الشجعان اسم مشهور، ووصف مذكور، يعجز الواصف عن وصف صفاته رضي الله عنه وأرضاه. سعد بن أبي وقاص الزهري الأنصاري رضي الله عنه، كان فارساً بطلاً رامياً، وهو أول من رمى في سبيل الله بسهم. ولما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده، ومات خف أنفه. أبو دجانة الأنصاري رضي الله عنه، الذي خرج يتبخر بين الصفيين فقال عليه الصلاة والسلام: «إنها لمشية ييغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع». المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه، هو أول من فتح حرب الفرس. أبو عبيد بن مسعود الثقفي رضي الله عنه، قاتل القوم يوم قس الناطف

(١) صرعني: أوقعني.

(٢) بنجدها عمرو: أي ذهاب مجد هذه البلدة بذهاب بطلها هذا.

(٣) قلّ جمعهم: فرقهم وانتصر عليهم.

في حرب القادسية. عمار بن ياسر رضي الله عنه، صاحب رسول الله والذي قال فيه رسول الله: «الحق يدور مع عمار حيث دار»، وأخبر أنه تقتله الفتة الباغية، فقتل بصفين وكان مع علي رضي الله عنه. هاشم بن عتبة رضي الله عنه من أكابر الشجعان، صاحب راية علي رضي الله عنه بصفين. مالك بن الحرث النخعي الأشتر رضي الله عنه، مات مسموماً في شربة من عسل. فقال معاوية: إن الله جنوداً منها العسل. القعقاع بن عمرو طاعن الفيل في عشية القادسية رضي الله عنه.

الطبقة الثانية: عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه قاتل جرجير ملك أفريقية الذي كان يرى أنه أشجع أهل عصره. قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة: صف لي عبد الله بن الزبير. فقال: والله ما رأيت جلدأ قط ركب على لحم، ولا لحماً على عصب، ولا عصباً على عظم، مثل جلده، ولحمه، وعصبه. ولا رأيت نفساً بين جنينين مثل نفس ركبت بين جنينيه، ولقد قام يوماً إلى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع له بصره، ولا قطع له قراءته، ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع. قتله الحجاج بعد أن حوضر بمكة، وأسلمه أصحابه وعشيرته، وصلبه الحجاج، ألا إلى الله تصير الأمور. أبو هاشم محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية رضي الله عنه، كان أبوه يلقبه في الوقائع، ويتقي به العظام، وهو شديد البأس، ثابت الجنان. قيل له يوماً: ما بال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يقحمك الحروب، دون الحسن والحسين رضي الله عنهما؟ فقال: لأنهما كانا عيني، وكنت أنا يديه، فكان يتقي عيني بيديه. وقيل إن أباه علياً رضي الله عنه اشتري درعاً فاستطالها فأراد أن يقطع منها. فقال له محمد: يا أبت علم موضع القطع، فعلم على موضع منها، فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها، وبالأخرى على موضع العلامة، ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حدّه أبوه. وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه في الشجاعة يحسده على قوته، وإذا حدث بهذا الحديث غضب. مات حتف أنفه بشعب رضوي. عبد الله بن حازم السلمي رضي الله عنه، والي خراسان، شجاع مضر وفارسها في عصره، قتله وكيع بن أبي سويد بخراسان في الفتنة. وكيع بن أبي سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره، شجاع فاتك أهوج والي خراسان، قيل لما قتل عبد الله بن حازم، ولم يتم أمره لهوجه فمات حتف أنفه. مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد، جاد بماله وبنفسه، قتله عبيد الله بن زياد في الحروب التي كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان. عمير بن الحباب السلمي، فارس الإسلام، قتله بنو تغلب في الحرب التي كانت بينهم وبين قيس. مسلمة بن عبد الملك بن مروان، قتل بني أمية وفارسها ووالي حروبها، قيل إنه جلس يوماً ليقضي بين الناس بمصر فكلّمته امرأة، فلم يقبل عليها، فقالت: ما رأيت أقل حياء من هذا قط. فكشف عن ساقه فإذا فيها أثر تسع طعنات. فقال لها: أترين أثر هذا الطعن؟ والله لو أخرجت رجلي قيد شبر ما أصابتنني واحدة منهن، وما منعني من تأخيرها إلا الحياء، وأنت تحليني قلته. المعتصم بطل شجاع، فارس صنديد، لم يكن في بني العباس أشجع منه ولا أشد قلباً. قال ابن أبي داود: كان المعتصم يقول لي: يا أبا عبد الله عض على ساعدي بأكثر قوتك. فأقول: والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك. فيقول: إنه لا يضرني فأروم ذلك، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة، فكيف تعمل فيه الأسنان. ويقال إنه طعنه بعض الخوارج وعليه درع، فأقام المعتصم ظهره فقسم الرمح نصفين، وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها، ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقاً في العنق. إبراهيم بن الأشتر النخعي كان من الشجعان المعدودين، حارب عبيد الله بن زياد وهو في أربعة آلاف، وعبيد الله في سبعين ألفاً فظفر به، وقتله بيده، وهزم جيشه. عبد الله بن الحر الجعفي، شجاع، شاعر فاتك، له وقائع عظيمة هائلة، وأخباره

في الشجاعة مشهورة. جحدر بن ربيعة العكلي كان بطلاً شجاعاً فاتكاً مغيراً، شاعراً، قهر أهل اليمامة، وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب إلى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه، ويأمره بالتجرد له حتى يقتله، أو يحمله إليه أسيراً. فوجه العامل إليه فتية من بني حنظلة، وجعل لهم جعلاً عظيماً أن هم قتلوا جحدر أو أتوا به أسيراً، فتوجه الفتية في طلبه، حتى إذا كانوا قريباً منه، أرسلوا يقولون له، إنهم يريدون الانقطاع إليه، والارتفاق به، فوثق بذلك منهم، وسكن إلى قولهم، فبينما هو معهم يوماً، إذ وثبوا عليه فشده ووثاقاً، وقدموا به على العامل فوجه به إلى الحجاج معهم، فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له: أنت جحدر. قال: نعم أصلح الله الأمير. قال: ما جرأك على ما بلغني عنك؟ قال: أصلح الله الأمير، كلب الزمان، وجفوة السلطان، وجرأة الجبان. قال: وما بلغ من أمرك؟ قال: لو ابتلاني الأمير، وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه. قال: فتعجب الحجاج من ثبات عقله، ومنطقه، ثم قال: يا جحدر إني قاذف بك في حاجر فيه أسد عظيم فإن قتلك كفانا مؤنتك، وإن قتلتك عفونا عنك. قال: أصلح الله الأمير قرب الفرج إن شاء الله تعالى. فأمر به فصفده بالحديد، ثم كتب إلى عامله أن يرتاد له أسداً ويحمله إليه. فتحيل العامل وارتاد له أسداً كان كاسراً خبيثاً قد أفنى عامة المواشي، فتحيلوا حت أخذوه وصبروه في تابوت وسجوه على عجل. فلما قدموا به على الحجاج أمر به، فألقي في الحاجر ولم يطعم شيئاً ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب، ثم أمر بجحدر أن ينزلوه إليه فأعطوه سيفاً وأنزلوه إليه مقيداً وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بجحدر. فلما نظر الأسد إلى جحدر نهض، ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال، وارتاعت أهل الأرض، فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول:

ليث وليث في مجال ضنك
كلاهما ذو قوّة وسفك
وصولة وبطشة وفتك
أن يكشف الله قناع الشك

فأنت لي في قبضتي وملكي

ثم دنا منه، وضربه بسيفه، ففلق هامته^(١)، فكبر الناس. وأعجب الحجاج ذلك، وقال: الله درك ما أنجيك. ثم أمر به فأخرج من الحاجر، وفك عنه قيوده، وقال له: اختر إما أن تقيم معنا فنكرمك، وتقرب منزلتك، وإما أن نأذن لك فتلق ببلادك وأهلك، على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها حدثاً، ولا تؤذي بها أحداً. قال: بل اختار صحبتك أيها الأمير، فجعله من سماره وخواصه، ثم لم يلبث أن ولاه على اليمامة، وكان من أمره ما كان. المهلب بن أبي صفرة كان من الشجعان، ومن الأبطال المعدودة، وأولاده كلهم أنجاد أبطال، إلا أن المغيرة من بينهم، كان أشد تمكناً، وكان المهلب يقول: ما شهد معي حرباً، إلا رأيت البشري في وجهه، وحمل عليه بعض الشجعان وفي يده شجرة، فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج، وحمل من تحتها فبراها بسيفه، وكان المهلب يقول: أشجع الناس ثلاثة: ابن الكلبي، وأحمر قریش، وراكب البغلة، فابن الكلبي، مصعب بن الزبير. وأحمر قریش عمر بن عبيد الله بن معمر. ما لقي خيلاً قط إلا فرقها. وراكب البغلة عباد بن الحصين. ما كان قط في كربة إلا فرجها، وهو من فرسان الإسلام، وكان للمهلب في الحروب مكاييد مشهورة، ووقائعه أبادت الخوارج بعد أن كانوا قد استولوا على المسلمين، وكان سيداً كريماً، مات حتف أنفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الأعجم:

مات المغيرة بعد طول تعرض للقتل بين أسنة وصفائح

وكان في الخوارج فوارس مشهورة، لا تثبت لهم الرجال، وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه. فمنهم أبو بلال مرداس خرج في أربعين فهزم ألفين. وشبيب الخارجي الذي غرق في الفرات، نذرت امرأته غزاة أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين، تقرأ في الأولى البقرة، وفي الثانية آل عمران، فعبر بها جسر الفرات، وأدخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفّت بنذرهما، والحجاج في الكوفة في خمسين ألفاً. ومنهم قطري بن الفجاءة، كان رأس الخوارج، وخاطبوه بأمر المؤمنين، وعظموه وبجلوه، وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانه منها. قتل في بعض وقائع الخوارج.

الطبقة الثالثة: معن بن زائدة الشيباني قتله الخوارج بسجستان في أيام المهدي. الوليد بن طريف الشيباني قتله يزيد بن يزيد. عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه أنه كان يتصيد فتبع حمار وحش، وما زال يركض إلى أن حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه، وصار على ظهر حمار الوحش، وصار يحز عنقه بسيف أو سكين في يده حتى قتله. أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي، فارس بطل شاعر، نديم، جامع لما تفرق في غيره، طعن فارسين رديفين فأنفذ الرمح من ظهرهما، وحمل برمحه أربعة نفر، وفيه يقول بكر بن النطاح:

قالوا وينظّم فارسين بطعنة يوم اللقاء ولا يراه جليلاً
لا تعجبوا لو كان مدّ قنائه ميلاً إذا نظّم الفوارس ميلاً

وسأله يوماً رجل شيئاً. فقال له: أتسأل وجدك القاتل:

ومن يفتقر منا يعيش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وإنّا لنلهو بالسيف كما لهت فتاة بعقيد أو سخاب قرنفل^(١)

فخرج الرجل، فجرد سيفه، فلم يصادفه في طريقه إلا وكيل لأبي دلف ومعه مال جزيل، فاستلبه منه وقلته، فبلغ الخبر أبا دلف فقال: دعوه فإنني علمته على نفسي. بكر بن النطاح بطل شجاع، فارس فاتك، له أشعار مشهورة، وأخبار مذكورة.

ومما جاء في مدح السيف قال رسول الله ﷺ: الخير في السيف، والخير بالسيف، وكان صمصام^(٢) عمرو، أشهر سيوف العرب ومن تمثّل به نهشل فقال:

أخّ ماجد ما خانني يوم مشهد كما سيف عمرو لم تخنّه مضاربته

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله ﷺ على اليمن قال:

خليلي لم أخنّه ولم يخني إذا صاب أوساط العظام
خليلي لم أهبه من قلاه ولكن المواهب للكرام

(١) سخاب قرنفل: عقد من القرنفل.

(٢) صمصام: سيفه.

حبوث به كريماً من قريش فسر به وصين عن اللثام
وودعت الصفي^(١) صفي نفسي على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل في آل سعيد، حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسري بمال جزيل لهشام، وكان قد كتب إليه فيه. فلم يزل عند بني مروان، ثم طلبه السفاح، والمنصور والمهدي فلم يجدوه، فجذ^(٢) الهادي في طلبه حتى ظفر به وكان مكتوباً عليه هذا البيت:

ذكر على ذكر يصول بصارم ذكر يمان في يمين يماني
وقال ابن الرومي:

لم أر شيئاً حاضراً نفعه للمرء كالدهرم والسيف
يقضي له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الخيف^(٣)
وقال زيد بن علي رضي الله عنهما:

السيف يعرف عزمي عند هزتيه والرمح بي خبر والله لي وزر^(٤)
إننا لنأمل ما كانت أوائلنا من قبل تأمل إن ساعد القدر
وقال عبد الله بن طاهر:

بيت ضجعي السيف طوراً وتارة تعض بهامات^(٥) الرجال مضاربه
أخو ثقة أرضاه في الروح صاحباً وفوق رضاه أنني أنا صاحبه
وليس أخو العلياء إلا فتى له بها كلف ما تستقر ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير وقال له: رده علي، فإنه السيف الذي أعطاه رسول الله ﷺ له يوم حنين. فقال له عبد الملك: أو تعرفه؟ قال: نعم. قال: بماذا؟ قال: أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك، أعرفه بقول الشاعر^(٦):

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
وقال الأجدع الهمداني:

لقد علمت نسوان همدان أنني لهن غداة السروع غير خذول
وأبذل في الهيجاء وجهي وإنني له في سرى الهيجاء غير بذول^(٧)

(١) الصفي: الخليل ذو الصفاء.

(٢) جذ: اجتهد.

(٣) الحيف: الجور.

(٤) وزر: مؤازر ومعين.

(٥) بهامات: رؤوسهم.

(٦) النابغة الذبياني في الغسانة.

(٧) بذول: أي صائته.

وقال آخر:

عشرون ألف فتى ما منهم أحدٌ إلا كالف فتى مقدمه بطل
راحت مزادهم مملوءة أملاً ففرغوها وأكوهها من الأجل

ومن أخبار الشجعان ما حكاه الفضل بن يزيد: نزل علينا بنو ثعلب في بعض السنين وكنت مشغولاً بأخبار العرب أن أسمعها وأجمعها، فبينما أن أدور في بعض أحيائهم إذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها، وهي آخذة بيد غلام قلماً رأيت مثله في حسنه وجماله، له ذؤابتان كالسبع^(١) المنظوم، وهي تعاتبه بلسان رطب، وكلام عذب، تحن إليه الأسماع، وترتاح له القلوب، وأكثر ما أسمع منها: أي بني وهو يتبسم في وجهها، قد غلب عليه الحياء والخجل، كأنه جارية بكر لا يرد جواباً. فاستحسنيت ما رأيت واستحليت ما سمعت، فدنوت منه، وسلمت فرد علي السلام، فوقفت أنظر إليهما. فقالت: يا حضري ما حاجتك، فقلت: الاستكثار مما أسمع، والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام. فقالت: يا حضري إن شئت سقت إليك من خبره ما هو أحسن من منظره. فقلت: قد شئت يرحمك الله. فقالت: حملته والرزق عسر، والعيش نكد، حملاً خفيفاً حتى مضت له تسعة أشهر، وشاء الله عز وأجل أن أضعه، فوضعتة خلقاً سوياً، فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه، حتى أفضل الله عز وجل وأعطى، وأتى من الرزق بما كفى أغنى، ثم أرضعته حولين كاملين، فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد إلى فراش أبيه فربي كأنه شبل أسد، أفيه برد الشتاء، وحر الهجير. حتى إذا مضت له خمس سنين، أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده. فلما أن بلغ الحلم، واشتد عظمه، وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل ففرس، وتمرس ولبس السلاح، ومشى بين بويات الحي الخيلاء. فأخذ في قرى الضيف، وإطعام الطعام، وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه. فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب، فخرج فتيان الحي في طلب ثار لهم، وشاء الله تعالى أن أصابته وعكة شغلته عن الخروج، حتى إذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره، ونحن آمنون وادعون إلى أن أدبر الليل، وأسفر الصباح، حتى طلعت علينا غرر الجياد، وطلائع العدو، فما هو إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال دون أهلها، هو يسألني عن الصوت، وأنا أستر عنه الخبر اشفاقاً عليه، وضناً به إذ علت الأصوات وبرزت المخدرات، رمى دثاره، وثار كما يثور الأسد، وأمر بإسراج فرسه، ولبس لامة حربيه، وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم، فطعن أذناهم منه فرمى به، ولحق أبعدهم منه فقتله، فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيّاً صغيراً، لا مدد وراءه. فحملوا عليه فأقبل يؤم البيت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة، حتى إذا مدهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم، وشئت جمعهم، وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق، ومرق كما يمرق السهم، وناداهم: خلوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به، أو لأهكلن دونه. فانصرفت إليه الأقران، وتمايلت نحوه الفرسان، وتميزت له الفتیان وحملوا عليه قد رفعوا إليه الأسنة وعطفوا عليه بالأعنة. فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الأبل. وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطمتها، ولا كتيبة إلا مزقتها، حتى لم يبق من القوم إلا مَنْ نجا به فرسه ثم ساق المال، وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته، وفرح الناس بسلامته، فوالله ما رأينا قط يوماً كان أسمع صباحاً، وأحسن رواحاً^(٢) من ذلك اليوم، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحي هذه الأبيات:

(١) السبع: الخرز.

(٢) رواحاً: مساءً.

تَأْمُنَنَّ فِغْلِي هَلْ رَأَيْتَنِّ مِثْلَهُ
وَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ حَتَّى كَأَنَّهُ
أَلَمْ أُعْطِ كَلًّا حَقُّهُ وَنَصِييَهُ
أَنَا ابْنُ هَنْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَالِكِ
أَبِي لِي أَنْ أُعْطِيَ الظَّلَامَةَ مَرْهَفُ
وَعَزَمَ صَحِيحٌ لَوْ ضَرَبْتُ بِحَدِّهِ الْـ
وَعَرَضْتُ نَقِيًّا أَتَّقِي أَنْ أُعْيِيَهُ
فَإِنْ لَمْ أَقَاتِلْ دُونَكَ وَأَحْتَمِي
فَلَا صَدَقَ اللَّاتِي مَشِينٌ إِلَى أَبِي

وقال الشاعر:

أَرَأَوْهُمْ وَوَجَّهَهُمْ وَسَيُوفُهُمْ
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِيحُ

وقال آخر:

فَوَارِسُ قَوَّالُونَ لِلْخَيْلِ أَقْدَمِي
بِأَيْدِيهِمْ سَمَرُ الْعَوَالِي كَأَنَّمَا

وقال آخر:

قَوْمٌ إِذَا اقْتَحَمُوا الْعِجَاجَ رَأَيْتَهُمْ
لَا يَعْدِلُونَ بِرِفْدِهِمْ عَنْ سَائِلِ
وَإِذَا الصَّرِيخُ دَعَاهُمْ لِمَلَمَّةٍ
شَمْسًا وَخَلَّتْ وَجْهَهُمْ أَقْمَارًا
عَدَلَّ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ أَوْ جَارَا
بَذَلُوا النُّفُوسَ وَفَارَقُوا الْأَعْمَارَا

ذكر الجبن، والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم: قد استعاذ سيدنا رسول الله ﷺ من الجبن فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال». نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله ﷺ. ويكفيك أن يقال في وصف الجبان: إن أحسن بمصفور طار فؤاده، وإن طنت بعوضة طال سهادته، يفرغ من صرير الباب، ويقلق من طنين الذئاب، ان نظرت إليه شزراً أغمي عليه شهراً، يحسب خفوق الرياح قعقة الرماح قال الشاعر:

إِذَا صَوَّتَ الْعَصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ
وَلَيْتَ حديدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ

(١) السمهري: نوع من السيوف.

(٢) دجت الحادثات: أظلمت.

(٣) رجوم: صخور للرجم.

(٤) ذبال: فتائل مشتتة.

وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه من الجبناء. روي عن ابن الزبير أنه قال: كان حسان في قاع أطم مع النساء رم الخندق، فأتاهم في ذلك اليوم يهودي يطوف بالحصن. فقالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها: يا حسان ن هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن، وأناي والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود. فأنزل إليه قتله. فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قال: فاعتجرت صفية ثم أخذت بموداً ونزلت من الحصن فضربتة بالعمود حتى قتله ورجعت إلى الحصن. فقالت: يا حسان قم إليه فاسلبه فإنه ما نعني من سلبه إلا أنه رجل. فقال: ما لي بسلبه من حاجة.

وقيل: كان لفتى من قریش، جارية مليحة الوجه، حسنة الأدب، وكان يحبها حباً شديداً فأصابته إضاعة وفاقة، احتاج إلى ثمنها فحملها إلى العراق وكان ذلك في زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوَقعت منه بمنزلة قدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فأنزله قريباً منه. وأحسن إليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه، وكان الفتى صميلاً فجعلت الجارية تسارقه النظر فظن الحجاج بها فوهبها له، فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس^(١) أصبح لا يدري أين هي. وبلغ الحجاج ذلك فأمر منادياً أن ينادي برئت الذمة ممن رأى وصيفة، من صفتها كذا كذا، ولم يحضرها. فلم يلبث أن أتى له بها. فقال لها الحجاج: يا عدوة الله كنت عندي من أحب الناس إليّ، اخترت لك ابن عمي شاباً حسن الوجه، ورأيتك تسارقيه النظر فعلمت أنك شغفت به فوهبتك له، فهربت من يلتك. فقالت: يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت. قال: هاتي ولا تخفي شيئاً. قالت: كنت للفتى القرشي احتاج إلى ثمني فحملني إلى الكوفة، فلما قربنا منها دنا مني فوقع عليّ فسمع زئير الأسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه. ثم أقبل عليّ وما برّد ما عنده، ثم قضى حاجته. وإن ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما ظلم الليل قام إليّ، فلما علا بطني وقعت فارة من السقف، فضرط ثم غشي عليه. فمكث زماناً طويلاً وأنا أُرش عليه لماء وهو لا يفيق. فخفت أن يموت فتتهمني به فهربت فرعاً منك، فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك، قال: ويحك اكتمي هذا، ولا تعلمي به أحداً. قالت: على أن لا تردني إليه، قال: لك ذلك...

وحَدَّث جَار لأبي حنيفة النميري قال: كان لأبي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق، وكان يسميه لعاب لمنية، فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه^(٢) وهو واقف على باب بيته، وقد سمع حساً في داره وهو يقول: أيها لمغتر بنا، المجترى علينا بشس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية، الذي سمعت به، خرج بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. ثم فتح الباب على وجل فإذا كلب قد خرج فقال: الحمد لله الذي سخك كلباً وكفاناً حرباً. وخرج المعتصم يوماً إلى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه قوامه سلاحه وتمام خلقه: أفيك خير يا رجل؟ قال: لا. فضحك المعتصم، وقال: قبح الله الجبان. ورأى الاسكندر سمياً، لا يزال ينهزم. فقال له: يا رجل إما أن تغتير فعلك وأما أن تغتير اسمك. ووقع في بعض العساكر ضجة فوثب خراساني إلى دابته ليلجمها، فصير اللجام في الذنب من الدهش. وقال يخاطب الفرس: هب جبهتك عرضت ناصيتك كيف طالت.

(١) بغلس: ظلمة آخر الليل.

(٢) انتضاه: استله كهية المبارز.

وخرج أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس في أربعين رجلاً فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك، وذمه ابن أبي زياد فقال: لأن يذمني ابن أبي زياد حياء أحب إلي من أن يمدحني ميتاً. وكان أسلم بعد ذلك إذا خرج إلى السوق ومرّ بصبيان صاحوا به: أبو بلال وراك. فكبر ذلك عليه، فشكاهم إلى ابن زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه. وفي ذلك يقول بعضهم شعراً:

يقولُ جبانُ القومِ في حال سكرِهِ	وقد شربَ الصهباء ^(١) هل من مبارزِ
وأين الخيولُ الأعوجيات ^(٢) في الوغى	أنازلُ منهم كلَّ مناهزِ
ففي السكرِ قيس، وابن معدٍ وعامرِ	وفي الصحو تلقاهُ كبعضِ العجائزِ

هذا ما انتهى إلينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

(١) الصهباء: الخمر.

(٢) الأعوجيات: فرسٌ أصلية.